

شرح مئة كلمة للأمير المؤمنين

[39] حكاية عن موسى عليه السلام: فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين (1)، ثم انه ليزداد تعويده بظهور تلك الغواشى الى ان يصير تلك الغواشى مألوفة له فتطمئن بها (2) نفسه ويسكن إليها قلبه وتسمى حينئذ في عرفهم سكينه حتى يصير بعد ان كانت آثار البهجة باسراق تلك الانوار في سره ظاهرة عليه وعلامات الاسف والتلف على فراقه كثيرة لديه بحيث يقل ذلك الظهور فيراه جليسه حال الاتصال بجانب الحق حاضرا عنده في اوقات السفر مقيما معه وهو في الحالين غائب مسافر ولا يزال يتدرج (3) في ذلك بحسب صفاء جوهره واستعداده بالملكة التامة الى ان يصير له ذلك متى شاء ثم يترقى في ذلك الى ان يتوقف ذلك الامر على مشيئته بل يكون له بمطالعة كل شئ عبرة من غير قصد الاعتبار (4) بتلك المطالعة، فإذا عبر مقام السلوك الى النيل صار سره كمرآة (5) مجلوة حوذى (6) بها وجه الحق متسعا باسراقه

(1) - ذيل آية 31 سورة القصص. (2) - ا: " لها ". (3) - ج د: " يندرج ". (4) - ج د: " الاعتقاد ". (5) - ج " مراة ". (6) - النسخ: " حوفى " أو ما يشبهه وصحناها بقرينة قول الشارح (ره) في شرح نهج البلاغة ضمن شرح قوله امير المؤمنين (ع): " وإنا ابى طالب آنس بالموت من الطفل بئدى امه ": " فان علمه بعواقب الامور وادبارها وتطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التى هي كمرآة صافية حوذى بها صور الاشياء في المرائى العالية فارتسمت فيها كما هي " (ص 104 الطبعة الاولى) ونظيره قوله الاخر في وصف التالين للقرآن حق تلاوته (ص 406 من الطبعة الاولى): " حتى صارت نفوسهم كمرائى مجلوة حوذى بها شطر الحقائق الالهية فتحلت وانتقشت بها " الى غيرهما واصل التعبير مأخوذ من كلام ابن سينا (انظر كتاب الاشارات، النمط التاسع): " اشارة - فإذا عبر الرياضة الى النيل صار سره مرآة مجلوة محاذيا بها شطر الحق ودرت عليه اللذات العلى (الى آخر كلامه) " وقد قال أيضا قبل ذلك في كلام له: " وإذا اعرضت النفس عنه الى ما يلى العالم الجسدانى أو صورة اخرى انمى المتمثل الذى كان اولا كأن المرآة التى كانت يحاذي بها جانب القدس قد اعرض بها عنه الى جانب الحس أو الى شئ آخر من الامور القدسي " قال المحقق الطوسى (ره) في شرح العبارة الثانية مانصه: " اشاره الى حاجة الذهول وسببه، وتمثل بالمرآة لانها في الجسمانيات اشبه شئ بالنفس المستفيضة عن المجردات ". (*)